محـور قضيـة فلســـطين

يناقش (الكنيست) في الأرض المحتلة مشروع قانون جديد ، يعتبر في حكم الصادر بالفعل ، كما هو أو بـــبعض التعديلات الطفيفة المحتملة

ويستهدف القانون الجديد المصادرة النهائية لأرض اثنين وأربعين ألفاً من البدو المسلمين ، من أبناء فلسطين المحتلة الذين يعيشون في صحراء النقب مذ عرفت صحراء النقب سكاناً لها

ويتوّج القانون بذلك سلسلة من المحاولات السابقة ، كان أصحاب الأرض الأصـــليون يواجهونهـــا بالـــصمود والتضحيات المتكررة ، وكان من أواخر تلك المحاولات أن (وزارة العدل) في دولة الاغتصاب والظلم قد عرضت عام 1974م إمكانية استملاك البدو لأرضهم (قانونياً) ، إذا برهن هؤلاء على ملكيتهم للأرض ! .. ومنذ ذلـــك الحـــين يوجد حوالي 4.000 دعوى قضائية أمام المحاكم الصهيونية دون جواب ، وتتعلق بحوالي 100.000 هكتـــار مـــن الأرض ، أي ما يعادل 5% من مجموع مساحة الأرض المحتلة عام 1948م

ثم قام وزير (الزراعة والمستعمرات) في الحكومة الجديدة (شارون) بدوره أيضاً على طريق إنهاء صـــمود البـــدو المسلمين ، فأعلن –بحجة قلة المراعي– تحديد الحد الأعلى لعدد رؤوس قطعان الماشية ، وقامت السلطات في ظل هذه التعليمات بتذبيح كل قطيع ماشيةٍ تجده خارج الأراضي الصالحة للرعي ، ولا سيما من الماعز .. وكلما ظهر الرعـــاة بمواشيهم في (بير شعبا) بصورة خاصة ، كانوا يتلقون العقوبات وتُصادَر مواشـــيهم .. كمـــا قامـــت (الـــدوريات الخضراء) المسلحة التي أوجدها (شارون) ، بمهاجمة البدو حيث يستقرون أو يحاولون الاستيطان لتدمّر مساكنهم بحجة أنها أقيمت دون تصريح رسمي ، رغم وجود (قوانينَ) للتملك التلقائي في هذه الحالة إذا كانت أرضُ المسكن تابعة لما يسمى بـ (أملاك الدولة) ، ولكن تطبيق ذلك يسري على اليهود بطبيعة الحال ! .. أمـــا البـــدو المـــسلمون فكـــانوا يضطرون إلى التراجع أمام قوة السلاح ، مرةً بعد أخرى .. أما الآن فالقانون الجديد يستهدف طرد 10.000 منهم ، يعيشون في أرض تبلغ مساحتها نحو 8.000 هكتار ، أو 130 كيلو متراً مربعا .. لأن الحكومة الصهيونية تريـــد أن تقيم على هذه الأرض بالذات القواعد الجوية الكبرى التي تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية ببنائها وتمويلها في إطار (معاهدة السلام مع السادات) ، ومقابل المطارات العسكرية في أرض سيناء ..

وكان باستطاعة سلطات الاحتلال أن تلجأ –كما فعلت من قبل– للقوانين التي أكل الدهر عليها وشرب مـــن عهد الانتداب البريطاني ، ولا سيما ما يسمى بقانون (مصادرة الأراضي لتطويرها) .. ولكن هـــذا القـــانون يتـــرك

لأصحاب الأرض الشرعيين منفذاً ضئيلاً للاعتراض أمام المحاكم الصهيونية ، وهذا ما قد يثير القضية أمام الرأي العام العالمي .. أما مشروع القانون في (الكنيست) فينص بوضوح كامل ، أن عملية المصادرة (لأغراض أمنية) نهائية ، فلا يحق للمتضرر الاحتجاج قضائياً أو بأية صورةٍ من الصور

وحتى يتبين حجم (الشرعية) التي تريد سلطات الاحتلال أن تصبغ بها عملية المصادرة ، تحسن مقارنة ما يـــنص عليه القانون الجديد من إجراءاتٍ وتعويضات مع ما تنص عليه تعهدات الحكومة الصهيونية ليهـــود المـــستعمرات في سيناء من إجراءات وتعويضات :

- أمام البدو المسلمين فترة ثلاثة شهور للنـــزوح عن أرضهم

وأمام اليهود الغاصبين فترة ثلاثة أعوام لإخلاء الأرض المغتصبة في سيناء والاستيطان في الأرض المغتصبة في النقب

- تخصص السلطات مبلغ 40 مليون مارك لتمويل نزوح 10.000 من البدو المسلمين

وتخصص السلطات مبلغ 1.200 مليون مارك لتمويل انتقال 10.000 من البدو الغاصبين

- ينقل البدو المسلمون إلى 6 قرى في مناطق لا يستطيعون ضمان زراعتها .. حتى يُضطَروا للعمـــل في المـــصانع الصهيونية

وينقل اليهود الغاصبون إلى المناطق التي تتوفر فيها المياه في النقب ، والتي يسكنها البدو المـــسلمون في الأصـــل ، حيث تبنى المستعمرات الجديدة فيها

- يحصل البدوي المسلم مع أسرته على نحو 1.000 متر مربع مقابل كل 100.000 متر مربع كانت لـــه مـــن الأرض

ويحصل اليهودي الغاصب على أرض جديدة تزيد مساحتها على ما كان قد اغتصبه من قبل في سيناء

وللبيان فالأرض المغتصبة للمستعمرات في سيناء تعادل 400 هكتار صحراوية ، منها 20 هكتاراً فقط مزروعـــة الآن .. وكان يقطن فيها 24 ألفاً من بدو مصر المسلمين الذين سبق طردهم بعد حرب 67م ، أمـــا الأرض الـــتي سيُطرَد بدو فلسطين المسلمون منها بعد (معاهدة السلام) فتعادل كما سبقت الإشارة 8.000 هكتـــار ، وســـيوطن اليهود في جزء منها ، وتقام المطارات في جزء آخر

- يحصل البدوي المسلم في أفضل حالات التعويض المالي –أي في حال ثبوت ملكيته للأرض كما يقولون– على ما يعادل :

6 فينيكات لكل متر مربع صالح للزراعة (يعادل 3,5 سنت أمريكي)

و 2 فينيك لكل متر مربع غير صالح للزراعة

مما يعدل بالمجموع 6.000 مارك مقابل كل 10 هكتارات

وإن كان له منـــزلٌ حجري فيحصل عوضاً عن ذلك على 1.000 مارك .. تعادل ثمن بضعة أحجار ! ..

وإن كان له كوخٌ خشبي فيحصل على 400 مارك .. تعادل ثمن بضعة أخشاب ! ..

وإن كان له شجرة .. فيحصل على 40 ماركاً أي ما يعادل ثمن بضعة كيلو غرامات من الثمار ! ..

كما يعطون البدوي المسلم -إذا قبل- 400 مارك يسمونها دعماً مالياً لبناء مسكن جديد ، ويشترطون أن يقيمه بنفسه داخل المساحة من الأرض التي تعطى له مقابل أرضه الأصلية بنسبة 10% مما كان يملك ! ..

أما اليهودي الغاصب فيحصل من التعويضات والدعم عن أرضٍ اغتصبها من قبل علـــى مـــا يعـــادل حـــوالي 100.000 مارك مع أرض يغتصبها من بعد

هذا .. وإن عنوان القانون الجديد هو (**مصادرة لأسباب أمنية**) وليس (**سرقة علنية**) ! ..

ولكن القضية -يا إخواننا المخلصين- ليست قضية مسميات .. إنّ محـــور القـــضية الحقيقـــي ، هـــو (**الأرض**) و(**الشعب**)

الأرض .. صخرةً صخرة ، ورملةً رملة ، من الجليل إلى الساحل إلى النقب إلى الغور .. وشجرةً شجرة ، وثمرةً ثمرة ، من أشجار الزيتون والبرتقال .. ومدينةً مدينة ، وقريةً قرية ، وواحةً واحة .. من عكا إلى غزّة إلى الخليـــل إلى حلحول إلى بير شعبا ..

إنها (الأرض) بترابها ومقدساتها ومساجدها ودماء الشهداء في رباها ..

والشعب .. من المستعمَرين منذ 31 عاماً ، أو منذ 12 عاماً ، ومن المشردين مرة أو مرتين أو مرات ومرات .. من أبناء عكا وحيفا تحت الخيام ، وأبناء الجليل وغزة والقدس ، وأبناء النقب الجريحة ..

(الشعب) .. بتاريخه ووجوده ، بعقيدته وقدرته على الاستمرار في طريق الإباء والصمود والكفاح والفداء ..

هذا هو محور القضية أيها المخلصون

ليس الأمر أمر قانونٍ جديد أو قديم .. وما أورد هذا التقرير من الأرض المحتلة الحديث عن القـــانون الجديـــد إلاّ كمثالٍ صارخ .. فقد نقلت الصحف قول أحد المسؤولين مفسراً حقيقة القانون الجديد : (نحن في حاجة إلى البـــدو كعمالٍ في مصانعنا الجديدة في النقب) .. وقال آخر مفسراً محور القضية الحقيقي : (لسنا على استعداد لإعطاء أرض يهودية جيدة للعرب) ..

وصدر هذا القانون .. وسواه ، كالسماح لأفراد اليهود باغتصاب أرض الضفة الغربية مباشـــرة تحـــت عنـــوان (صفقات تجارية) ، بعد أن كان الجيش والسلطات المدنية يقومون بعملية الاغتصاب لصالح الأفراد .. صدور هـــذه القوانين الآن بالذات ليصرخ في وجوه من يشتركون في مفاوضات (الإدارة الذاتية) ومن يتفرجون عليهم من المحـــيط إلى الخليج :

كلا .. لستم جاهلين أيها المسؤولون بما جرى ويجري .. لستم جاهلين بحقيقة القضية ، ولكنكم تشاركون مـــن خلال ما تصطنعونه من محاورَ جانبية في شغل أبناء المسلمين في كل مكان عن محورها الأصلي ..

انشغلوا أو تشاغلوا بمحور (كامب ديفيد) والحل الصهيوني الأمريكي .. بتجميله أو انتقاده أو الحملات عليـــه أو تمريره أو تنفيذه .. واليهود يغتصبون المزيد من الأرض ويشردون المزيد من الشعب

انشغلوا أو تشاغلوا بمحور نيويورك والحل الصهيوني الدولي .. بإقراره أو تعديله أو تمجيده أو ممارسة الضغوط من أجله .. واليهود يسرقون المزيد من الأرض ويضطهدون المزيد من الشعب

انشغلوا أو تشاغلوا بمحور جنيف والحل الصهيوني الأمريكي السوفييتي .. بنعيه أو إحيائه أو توســـيع نطاقـــه أو التوسيط والتوسط من أجله .. واليهود يقيمون مزيداً من المنشآت بالأموال الأمريكية على أرض فلـــسطين ليـــسكن مزيدٌ من المهاجرين اليهود السوفييت مكان شعب فلسطين

أما أنتم أيها المسلمون المخلصون فلقد علمتم أن القضية ليست قضية حرب وسلام .. فالحرب بدأت بالاحتلال والسلام يحل بنهاية الاحتلال

وليست قضية اعترافٍ محلي أو دولي ، مباشر أو غير مباشر .. فشرعية النضال للتحرير مُعتَرفٌ بها في كل وثيقـــةٍ وشريعة دولية ، وهدف التحرير الكامل لا يحققه اعترافٌ باغتصاب جزئي أو شامل ، ولا يحققه خضوعٌ بعد خضوع لمناورات الاستعباد والإذلال الدولية والمحلية

ليست قضيةَ بريجينيف وكارتر ، أو تشاوسيسكو وكرايسكي .. أو السادات أو بيجن .. إنما هي قضية المخلصين لمحور القضية الحقيقي .. محور الأرض والشعب

وإنّ أبناء فلسطين المحتلة ليعلمون قبل سواهم .. أن الإخلاص الحقيقي لمحور القضية لا يكون إلاّ بالارتفـــاع بهـــا فوق سائر المساومات على الإطلاق ، والعودة بها إلى جذورها الأصلية ، إلى الإسلام وما يفرضه ، إلى طريق جهـــاد عز الدين القسّام وثورته

إنّ تحرير أرض فلسطين وكل أرضٍ إسلامية .. جزءٌ من عقيدتنا ولا نساوم على عقيدتنا ..

وجهاد التحرير جزءٌ من عملنا وجهادنا لرفع كلمة الله في كل أرض ، ولن نلتفت بإذن الله عن طريق الجهاد مـــا دام فينا من يطلب الشهادة كما يطلب النصر أو أكثر ..

وإنّ أبناءَ فلسطين المضطهدين في كل أرض لَيعلمون أنه لا أخلصَ لقضية فلسطين من الشعوب المؤمنـــة بربهـــا ، ويعلمون أنه إذا كانت قيود الظلم والطغيان تحول دونها ودون الكثير من أهدافها فإن الظلم لا يدوم والطغيان لا بـــد ساقطٌ تحت أقدام من يرفعون راية لا إله إلاّ الله فوق كل راية .. حتى تجد فلسطين وكل أرض إسلامية عزيزة ، ويجد أبناء فلسطين وأبناء الإسلام في كل مكان الطريق بعون الله إلى التحرر والكرامة والعزّة والسيادة والتقدم والوحدة ..

وعلى هذا الطريق نمد أيدي المخلصين إلى المخلصين سائلين الله النصر .. والله عزيزٌ ذو انتقام